الحديث الأول

الدين يسر

أخرج البخاري بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:« إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»(١).

شرح الحديث(٢)

قوله : (إن الدين يسر) يَحتمل وَجْهَيْن:

أحدهمَا، أن دين الله تعالي، وشريعته التي أمر بها عباده واختارها لهم مبنية علي اليسر والسهولة ، كما قال تعالي: "وما جعل عليكم في الدين من حرج" فَلَا يَنْبَغِي التَّشْدِيد على النَّفس .

وَالثَّانِي، أَن يكون الْمَعْنى: إِنَّمَا يُنَال الدّين بالتلطف، وَيدل على هَذَا الْوَجْه قَوْله: (وَلنْ يشاد الدّين أحد إِلَّا غَلَبه) فمن شدد علي نفسه. وتعمق في أمر الدين مما لم يوجب عليه، يُغلب ويضعف عن القيام.

---

(١) صحيح البخاري : ك. الإيمان ، وسنن النسائي : الإيمان وشرائعه .

(٢) فتح الباري لابن حجر (١/ ٩٣ ــ ٩٥) و(١١/ ٢٩٩) ، وكشف المشكل من حديث الصحيحين ، لابن الجوزي (٣/ ٥٣١) ، والمتواري علي تراجم أبواب البخاري ، لابن المنير (ص: ٥٠) ، وشرح الطيبي على مشكاة المصابيح للطيبي (٤/ ١٢١٤،١٢١٣) .

ممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

وقوله: (يسر) خبر (إن) مصدر وضع موضع اسم المفعول مبالغة. والتنكير فيه للتقليل.

قوله وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أحدٌ : يُكلِّف نفسه مَن العبادة فوق طاقته.

(إلا غلبه) رده إلى اليسر والاعتدال.

وَالْمَعْنَى: لَا يَتَعَمَّقُ أَحَدٌ فِي الْأَعْمَالِ الدِّينِيَّةِ ، وَيَتْرُكُ الرِّفْقَ إِلَّا عَجَزَ وَانْقَطَعَ يُغْلَبُ .

قَالَ ابن الْمُنِيرِ: قَدْ رَأَيْنَا وَرَأَى النَّاسُ قَبْلَنَا أَنَّ كُلَّ مُتَطَّعٍ فِي الدِّينِ يَنْقَطِعُ ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ مَنْعَ طَلَبِ الْأَكْمَلِ فِي الْعِبَادَةِ فَإِنَّهُ مِنَ الْأُمُورِ الْمَحْمُودَةِ ، بَلْ مَنْعُ الْإِفْرَاطِ الْمُؤَدِّي إِلَى الْمَلَالِ أَوِ الْمُبَالَغَةِ فِي التَّطَوُّعِ الْمُفْضِي إِلَى تَرْكِ الْأَفْضَلِ ، أَوْ إِخْرَاجِ الْفَرْضِ عَنْ وَقْتِهِ كَمَنْ بَاتَ يُصَلِّي اللَّيْلَ كُلَّهُ وَيُغَالِبُ النَّوْمَ إِلَى أَنْ غَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ فِي آخِرِ اللَّيْلِ؛ فَنَامَ عَنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ فِي الْجَمَاعَةِ، أَوْ إِلَى أَنْ خَرَجَ الْوَقْتُ الْمُخْتَارُ ، أَوْ إِلَى أَنْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ فَخَرَجَ وَقْتُ الْفَرِيضَةِ .

وَقَدْ يُسْتَفَادُ مِنْ هَذَا الْإِشَارَةِ إِلَى الْأَخْذِ بِالرُّخْصَةِ الشَّرْعِيَّةِ فَإِنَّ الْأَخْذَ بِالْعَزِيمَةِ فِي مَوْضِعِ الرُّخْصَةِ تَنَطُّعٌ كَمَنْ يَتْرُكُ التَّيَمُّمَ عِنْدَ الْعَجْزِ عَنِ اسْتِعْمَالِ الْمَاءِ فَيُفْضِي بِهِ اسْتِعْمَالُهُ إِلَى حُصُولِ الضَّرَرِ.

وقيل: بناء المفاعلة في (يشاد) ليس للمغالبة، بل للمبالغة ، وهو من جانب المكلف ، ويحتمل أن يكون للمغالبة علي سبيل الاستعارة.

وعطف (ولن يشاد) علي الجملة الأولي لإرادة حصول الجملتين في الوجود، و ترتب الثانية علي الأولي ، يعني إذا شرع الدين علي السهولة واليسر، فلا ينبغي أن يشاد فيه، فمن شاد صار مغلوباً.

ممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

قوله: (فسددوا) أي: افعلوا السداد، وهو التوسط والاعتدال في القول والعمل واختيار الصواب منهما. او هو الصواب من غير إفراط ولا تفريط.

قوله: (وقاربوا) تأكيد للتسديد من حيث المعنى، يقال: قارب فلان في أموره، إذا اقتصد.

أي: إن لم تستطيعوا فعل الأكمل فاعملوا بما يقرب منه ولا تفرطوا.

قوله: (وابشروا) أي: بالثواب على العمل الدائم وإن قل.

والمراد تبشير من عجز عن العمل بالأكمل بأن العجز إذا لم يكن من تضييعه لا يستلزم نقص أجره.

فكأنه قيل: ابشروا معاشر امة محمد ﷺ خصوصا، بان الله تعالى رضي لكم الكثير من الأجر بالعمل القليل دون سائر الأمم. وقد روي أن رسول الله ﷺ قال: «سددوا وقاربوا، واعلموا ان لن يدخل أحدكم عمله الجنة، وأن أحب الأعمال أدومها إلى الله، وإن قل» (*) والمعنى (احب الاعمال) اي: اكثرها قبولا، (أدومها) ما استمر منها وواظب عليه فاعله، والحكمة في ذلك أن المديم للعمل يكثر التردد إلى باب الطاعة كل وقت، فليس هو كمن لازم الطاعة ثم انقطع.

والمراد بالعمل هنا الصلاة والصيام وغيرهما من العبادات.

والحاصل أنه أمر بالجد في العبادة والإبلاغ بها إلى حد النهاية لكن بقيد ما لا تقع معه المشقة المفضية إلى السآمة والملال.

(واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة) استعينوا على مداومة العبادة بإيقاعها في الأوقات المنشطة كأول النهار وبعد الزوال وآخر الليل.

(*) صحيح البخاري: ك. الرقاق، وصحيح مسلم: ك. صفة القيامة والجنة والنار

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قوله: (واستعينوا بالغدوة) أي: استعينوا على مداومة العبادة بإيقاعها في الأوقات المنشطة.

والغدوة بالفتح: سير أول النهار. او: ما بين صلاة الفداة وطلوع الشمس.

والروحة بالفتح: السير بعد الزوال. من أول النصف الثاني من النهار.

والدلجة: سير آخر الليل. وقيل: سير الليل كله، ولهذا عبر فيه بالتبعيض؛ فقال: "شيء من الدلجة" لتعذر سير جميع الليل، فندب إلى حظ منه وإن قل.

وهذه الأوقات أطيب أوقات المسافر. والمسافر إذا سافر الليل والنهار جميعا عجز وانقطع، وإذا تحرى السير في هذه الأوقات المنشطة أمكنته المداومة من غير مشقة.

وعبر بما يدل على السير لأن العابد كالسائر إلى محل إقامته وهو الجنة.

وفي الحديث إشارة إلى الحث على الرفق في العبادة.

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner